بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، محمد وآله الطيبين الطاهرين

واللعن الدائم على أعدائهم أجمعين إلى قيام يوم الدين

قال الله تعالى: **{ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ}** [سورة البقرة، 2].

والكلام في قوله عزّ وجلّ: {هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ} في مطالب ثلاثة:

الأوّل: حقيقةُ التقوى.

والثاني: تخصيص الهداية بالمتقين.

والثالث: العلاقة بين الهداية والتقوى.

المطلبُ الأوّل: في حقيقة التقوى:

إنّ التقوى عنوانٌ مشتقٌ من الوقاية، وهي كما في كتاب [المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، دار القلم، ج1، ص881]: **(الوِقَايَةُ: حفظُ الشيءِ ممّا يؤذيه ويضرّه)**.

وبتحليلٍ دقيقٍ لصفةِ التقوى نجد أنّها من الصفات الجامعة بين الانفعال والفعل، حيث إنّ الصفات النفسية على أقسام ثلاثة: صفات انفعالية، وصفات فعلية، وصفات جامعة بين الانفعال والفعل.

فأمّا القسم الأوّل: وهو قسم الصفات الانفعالية: كصفة الانشراح والاطمئنان، فهي صفةٌ انفعالية تحدث للنفس نتيجة استجابتها لشيء آخر.

وأمّا القسم الثاني: وهو الصفات الفعلية، كصفة القصد والتوجه والإرادة فهي فعلٌ من أفعال النفس تجاه أمرٍ مِن الأُمور.

وأمّا القسم الثالث: وهو قسم الصفات المؤلفة من الانفعال والفعل، ومنها التقوى، فالتقوى فيها انفعالٌ وفيها فعلٌ؛ لأنّها جامعةٌ بين الحذر والحفظ، فهي من جهة عبارةٌ عن الحذر الذي يقتضي الالتفات إلى الموانع والعوائق وتجاوزها، فلولا وجود موانع وعوائق لما احتاجت النفس إلى الحذر.

فمن ناحية هذا العنصر تكون التقوى صفة انفعال؛ لأنّها تعني التحرز من العوامل السيئة.

ومن جهةٍ أُخرى فهناك عنصر فعل، وهو حفظ النفس، إذ بعد التحرز والحذر تأتي مرحلة حفظ النفس، وهذا فعلٌ من أفعال النفس، أي حفظها من التلوث والمعاصي وكلّ ما يكدر النور الذي فطرت عليه، وقد أشار الله تبارك وتعالى إلى صفة الحذر والحفظ مِن ناحية المعاصي في الدنيا ومِن ناحية النار في الآخرة فقال تبارك وتعالى: **{إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ}** [سورة الأعراف، 201] فإنّ قوله تعالى: **{إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا}** إشارة إلى العنصر الأوّل وهو عنصر الانفعال "التذكرة"، كما أشار عزّ وجلّ إلى الحفظ من الأضرار الأخروية في قوله تبارك وتعالى: **{فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ}** [سورة البقرة، 24].

والنتيجة: أنّ التقوى صفةٌ مؤلفة من الانفعال والفعل، بين الحذر والحفظ.

المطلب الثاني: تخصيص الهداية بالمتقين:

لقد أثار المفسرون سؤالاً، وهو: أنّ قول الله تبارك وتعالى: **{شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ}** [سورة البقرة، 185]، يعني أنّ القرآن الكريم يتكفل هداية كلّ الناس بأصنافهم وألوانهم، بينما الآية الثانية من سورة البقرة خصصت الهداية بالمتقين في قوله عزّ من قائل: **{ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى للمتقين)؟**

وهذا السؤال يستتبع سؤالاً آخر، وهو: أنّ التقوى متضمنةٌ للهداية؛ لأنّه لا يتصور تقوى بدون هداية، فالمتقي مهتدٍ، فإذا كان المتقي مهتدياً فلماذا يحتاج إلى الهداية، فهداية المتقين أشبه بتحصيل الحاصل؟

وقد ذُكرت في كلمات المفسّرين عدة وجوهٍ للإجابة عن هذين الاستفهامين:

الوجه الأوّل: ما ذكره الشيخ الجوادي الآملي (دام ظله) في تفسيره [تسنيم في تفسير القرآن، دار الإسراء للطباعة والنشر، ج2، ص167] حيث أفاد أنّ الهداية قسمان: الهداية بمعنى إراءة الطريق والهداية بمعنى الإيصال إلى المطلوب، إذ تارةً يسألني شخصٌ: أين الطريق إلى حرم أمير المؤمنين (صلوات الله عليه)؟ فأُرشده وهذا هو القسم الأوّل وهو إراءة الطريق، وتارةً أُخرى آخذُ بيده وأُدخله للحرم الشريف فهذا قسمٌ آخرٌ من الهداية وهو الإيصال إلى المطلوب.

قال (مد ظله): (**إنّ المرادَ من الهداية الخاصّة للمتّقين في هذه الآية الكريمة هو تلك الهداية التكوينيّة (الإيصال إلى المطلوب) وهي متأخّرةٌ عن الهداية التشريعيّة العامّة للقرآن (الإرشادُ إلى الطريق)**).

فبما أنّ الهداية مرتبتان وهما: إراءة الطريق والإيصال إلى المطلوب، فقوله تبارك وتعالى: **{شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ}** [سورة البقرة، 185] للإشارة إلى المرتبة الأُولى من الهداية ألّا وهو إراءة الطريق، فالهداية للناس جميعاً بمعنى إراءة الطريق، لكن المتقين يحتاجون إلى درجةٍ أُخرى من الهداية ومرتبةٍ أُخرى منها، وتلك المرتبة المناسبة للمتقين هي الهداية بمعنى الإيصال إلى المطلوب؛ لأنّ المتقي يحتاج إلى أنْ يصل إلى النور الذي وعد الله تبارك وتعالى به في قوله: **{ذَٰلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ}** [سورة الأنعام، 88] فهذا هو الفرق بين الآيتين.

وهذا الكلام إنّما يجيب على السؤال الأوّل الذي هو لماذا جعلت الهداية في الآية الأُولى للناس بينما هذه الآية خصصت الهداية للمتقين؟ فيقال: هذه درجة وتلك درجة، ولكن يبقى السؤال الثاني وهو أنّ المتقين حصلوا على الهداية بمعنى الإيصال إلى المطلوب فما وصلوا للتقوى إلّا بالهداية، فإذا فسرت الهداية في قوله تبارك وتعالى: **{هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ}** بمعنى الوصول إلى المطلوب يلزم منه تحصيل الحاصل؛ لأنّ التقوى متضمنة للهداية بمعنى الوصول إلى المطلوب، فلو فسرنا الهداية في قوله: **{هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ}** أيضاً بمعنى الوصول إلى المطلوب للزم من ذلك تحصيل الحاصل.

الوجه الثاني: أنّ الهداية تارةً تلاحظ من جانب الفاعل وأُخرى تلاحظ من جانب القابل.

فالهداية القرآنية إذا لوحظت من جانب الفاعل أي من جانب القرآن نفسه فهي هداية للناس كلّهم؛ لأنّ القرآن الكريم جاء ونزل من السماء بهدف هداية كلّ الناس **{هُدًى لِّلنَّاسِ}**.

ولكن إذا لاحظنا الهداية القرآنية لا من طرف الفاعل بل من طرف القابل أي المتلقي لها والمستقبل لها، فمن الواضح أنّ الذي يتأثر بالهداية القرآنية ويتفاعل معها هو من يمتلك الاستعداد لذلك، والذين يمتلكون الاستعداد للتفاعل مع الهداية القرآنية هم المتقون فتعبيره بقوله تعالى: **{هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ}** إشارة إلى الجانب القابل، أي: أنّ الذي يتأثر بالهداية القرآنية ويتفاعل معها خصوص فئةٍ من الناس وهم المتقون.

وتحليل هذا الوجه: أننا إذا نظرنا إلى القرآن الكريم نجد أنّه ينص على أنّ هناك هداية فطرية لكلّ الناس، قال تبارك وتعالى: **{وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا}** [سورة الشمس، 7 – 8] أي أنّ للنفس هداية فطرية من قبل الله تبارك وتعالى، وهذه الهداية الفطرية هي الرصيد الذي يمتلكه الإنسان فكلما حافظ عليه ونمّاه أصبح يمتلك الاستعداد لتلقي الهداية القرآنية، فاستقبال الهداية القرآنية يتوقّف على المحافظة على الهداية الفطرية، لذلك قال سبحانه وتعالى: **{قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا}** [الشمس، 9] فالتزكية هي عبارة عن التحفظ على الهداية الفطرية ورفع التلوثات والكدورات عنها، كما ورد عن رسول الله (صلى الله عليه وآله): (**كلّ مولودٍ يولدُ على الفطرة حتى يكون أبواه يهودانه وينصرانه، ويمجسانه**) [عوالي اللئالي، ابن أبي جمهور، ج1، ص35].

ونظير هذا المضمون في القرآن الكريم عنوان "الإنذار" فتارةً يضيف الإنذار لكلّ الناس وأُخرى يضيفه لخصوص المؤمنين، قال الله تبارك وتعالى: **{لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ}** [سورة يس، 70]، ثمّ يقول تعالى في آيةٍ أُخرى: **{إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَٰنَ بِالْغَيْبِ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ}** [سورة يس، 11]، وقال تبارك وتعالى: **{إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَاهَا}** [سورة النازعات، 45].

فالآية الأُولى تقول أنّ الإنذار لكلّ الأحياء، بينما الآية الثانية تقول بأنّ الإنذار لخصوص من اتبع الذكر وخشي الرحمن بالغيب، والفرق بينهما أنّ الإنذار إذا لوحظ من جهة الفاعل فهو عام لكلّ الأحياء، وإذا لوحظ من جهة القابل فالمتأثر بالإنذار والمستعد له هو خصوص **{مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَٰنَ بِالْغَيْبِ}**.

الوجه الثالث: وهو الأدقّ في مقام علاج الاستفهامين معاً:

أنْ يُقال: إنّ الهداية القرآنية نفسها على درجات حتى من طرف الفاعل ومن طرف القابل، أي: الهداية من القرآن على درجات، والهداية من القابل أيضاً على درجات، فهذه الآية ناظرةٌ لدرجةٍ من الهداية وتلك الآية ناظرةٌ إلى درجةٍ أُخرى من الهداية.

وبيان ذلك: أنّ هناك آيتين في القرآن الكريم، الأُولى تدل على أنّ الهداية درجات والأُخرى تدل على أنّ التقوى درجات.

الآية الأُولى: قال تبارك وتعالى: **{وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ}** [سورة محمد، 17] بمعنى أنّ التقوى إنّما تأتي بعد درجاتٍ من الهداية، فهذه الآية تدل على أنّ للهداية درجات.

الآية الثانية: قال تبارك وتعالى: **{لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوا وَّآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوا وَّآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوا وَّأَحْسَنُوا وَاللهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ}** [سورة المائدة، 93].

والخلاصة: أنّ الهداية درجات والتقوى أيضاً درجات، فبالمقارنة بين الآيتين الشريفتين الآية التي تنص على أنّ للهداية درجات والآية التي تنصّ على أنّ للتقوى درجات نستفيد أنّ لكلّ درجةٍ من التقوى درجةً من الهداية تقابلها وتكون بمثابة الإعداد للدرجة الأكمل، فكلّ درجةٍ من التقوى توازيها درجة من الهداية تعدها للدرجة الثانية من التقوى لكي تتلقى درجةً أُخرى من الهداية وهكذا.

ومما يؤكد أنّ للهداية القرآنية نفسها – الهداية من طرف الفاعل – درجات متفاوتة تختلف باختلاف استعدادات الإنسان، والقرآن الكريم متنوع الإضافة لعدّة أصناف من الناس، فتارةً يضاف القرآن إلى كلّ الناس كما في قوله تعالى: **{شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ}** [سورة البقرة، 185]، وتارةً تضاف الهداية للمسلمين – لا لكلّ الناس - كما في قوله سبحانه وتعالى: **{قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ}** [سورة النحل، 102]، فصار العنوان أخصّ من كلّ الناس، ثم تأتينا آيةٌ ثالثة تخصصه من بين المسلمين بالمؤمنين وهي قوله تبارك وتعالى: **{وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ}** [سورة الإسراء، 82]، ثم تأتي آيةٌ رابعة لتخصصه بالمتقين وذلك قوله تبارك وتعالى: **{هُذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ}** [سورة آل عمران، 138] واختلاف هذه الإضافات لاختلاف الأصناف يرشد إلى ما ذكرنا من أنّ للإيمان والتقوى درجات، وبإزاء كلّ درجةٍ درجةٌ من الهداية تسندها وتدعمها.

وهذا كما هو بالنسبة للمتقين هو بالنسبة للفاسقين أيضاً، أي كما أنّ هناك قوس صعود فهناك قوس نزول، فكما أنّ هناك قوس صعود يترقى فيه الإنسان من درجةٍ إلى درجةٍ ومن نورٍ إلى نور، قال تبارك وتعالى: **{نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ يَهْدِي اللهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ}** [سورة النور، 35]، وقال تبارك وتعالى: **{إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ}** [سورة فاطر، 10].

فهناك قوس نزول، قال تبارك وتعالى: **{وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَىٰ}** [سورة طه، 81]، أي من يَحْلِل عليه غضب الله سبحانه ينزل إلى أدنى وأسفل قوس النزول، وهؤلاء أشار إليهم في قوله تبارك وتعالى: **{فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا}** [سورة البقرة، 10]، وقال تبارك وتعالى: **{فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ}** [سورة الصف، 5]، وقال تبارك وتعالى: **{يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ}** [سورة البقرة، 26].

المطلب الثالث: العلاقة بين الهداية والتقوى:

وهنا أمران لابُدّ من إيضاحهما: **الأوّل**: حقيقة الهداية، **والثاني**: حقيقة التقوى، وما هو وجه الربط بين هاتين الحقيقتين.

الحقيقة الأُولى: حقيقة الهداية:

إنّ الهداية – كما هو معلوم – إمّا هداية تكوينية وإمّا هداية تشريعية:

فالهداية التكوينيّة: هداية لكلّ المخلوقات ولا تخصّ الإنسان؛ إذ كلّ نوعٍ من المخلوقات قد هديَ إلى كماله والهدف من خلقته كما قال الله تبارك وتعالى: **{الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ}** [سورة طه، 50]، وقال تبارك وتعالى: **{الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ * وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ}** [سورة الأعلى، 2 – 3]، مما يعني أنّ كلّ مخلوقٍ له نوعٌ من الهداية.

والهداية التشريعيّة: هي ما تكفّله القرآن الكريم من بيان العقائد الحقّة والأعمال الصالحة والقوانين التكليفية والوضعية، قال الله تبارك وتعالى: **{إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا}** [سورة الإنسان، 3].

والهداية التكوينيّة وإنْ كانت عامّة لكلّ المخلوقات، لكن الإنسان خصّ بقسمٍ من الهداية التكوينيّة، ومن أقوى الطرق لهذا القسم من الهداية التكوينية الذي خصّ به الإنسان التدبر في القرآن الكريم، قال الله تبارك وتعالى: **{أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا}** [سورة محمد، 24] فإنّ القلب مقفل بأقفالٍ حديدية محيطة به فإذا أراد الإنسان أنْ يستفيض من نور القرآن العظيم ومن هدايته فلابُدّ من فكّ هذه الأقفال، فإذا فكّ هذه الأقفال عن طريق التدبر في القرآن صار القرآن باباً للهداية التكوينية للإنسان، وقد قال الله تبارك وتعالى: **{فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ}**

[سورة الأنعام، 125]، وقال تعالى: **{أَفَمَن شَرَحَ اللهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِن رَّبِّهِ}** [سورة الزمر، 22] فهذه الحالة النورانيّة الموجودة في الآيات القرآنية التي يحصل عليها الإنسان لو سعى لها إنّما يحصل عليها عن طريق التدبر في آيات القرآن الكريم.

ومِن معالم طريق التدبّر الذي يوصِل إلى هذه الهداية التكوينيّة الاهتداء لاستقامة الطريق:

وتوضيح ذلك: أنّ هناك عدة آيات تربط بين الهداية والصراط المستقيم، قال تبارك وتعالى: **{اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ}** [سورة الفاتحة، 6] وقال تبارك وتعالى في حقّ الأنبياء والمرسلين: **{وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ * ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ}** [الأنعام، 87 – 88]، فما هو وجه العلاقة بين الهداية والصّراط المستقيم؟

إنّ هذه النقطة تحتاج إلى تحليل وتعميق؛ فالله تبارك وتعالى واحدٌ لا شريك له، واحد في ذاته، واحد في صفاته، واحد في أفعاله ومقتضى وحدانيّته تبارك وتعالى في أفعاله أنّه جعل للوحدة مظاهر تدلّ على وحدانيته، لا بمعنى ما يقوله الفلاسفة مِن اعتبار السنخيّة بين العلّة والمعلول؛ بما أنّ الله واحد فلابدّ أن يكون معلوله واحداً؛ لأنّ الواحد لا يصدر منه إلا الواحد، فهذا ليس صحيحًا؛ فليست علاقة الله سبحانه وتعالى بمخلوقاته علاقة العلّة بالمعلول حتى يخضع لقانون السنخيّة بين العلة والمعلول، بل علاقة الله عزّ وجلّ بمخلوقاته علاقة الفاعل بفعله الابتداعي الإنشائي لا من شيء قبلها كي يكون بينهما رابط العلية، ويؤكد ذلك ما ورد عن السيدة الصديقة الشهيدة فاطمة الزهراء (صلوات الله عليها) في خطبتها المشهورة: **(ابتدع الأشياءَ لا مِن شيءٍ كانَ قبلها)** [كتاب الاحتجاج، الشّيخ الطبرسيّ، خطبة الزهراء صلوات الله وسلامه عليها: ج1، ص133].

وحاصل ذلك: أنّ هناك فرقاً بين عنوان العلية وعنوان الابتداع، فعلاقة العلة بالمعلول علاقة فيض كما تفيض النّار الحرارة، بمعنى أنّ الحرارة كانت كامنة في النار ثم تجسدت، ونظير علاقة البحر بالماء، فالماء موجود في البحر لكنّ البحر يفيضه، ومعنى ذلك: أنّ المعلول كان موجودًا في رحم العلة ثم ظهر.

بينما علاقة الله جلّ وعلا بمخلوقاته ليست علاقة الفيض، فالمخلوقات لم تكن موجودة في وجود الله تعالى ثم ظهرت، بل تحققت لا مِن شيء كان قبلها؛ إذ لم يكن لهذه الأشياء وجود حتّى في وجوده

تبارك وتعالى، وإنّما ابتدعها واخترعها، ولكن بما أنّه تبارك وتعالى واحد كما قال تعالى: **{الواحدُ القهّار}** [سورة يوسف، 39] فقد أراد أنْ يجعل في مخلوقاته دلائل على وحدانيّته.

1–فمن الدّلائل على وحدانيّته أنّه جعل مخلوقاته بنحو الوحدة، وهذا مظهر لوحدانيّته تبارك وتعالى.

2–ومن مظاهر الوحدة الوحدةُ في الوحي، قال تبارك وتعالى: **{أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّـهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافاً كَثِيراً}** [سورة النساء: 82]، ويؤيّده ما ورد عن أمير المؤمنين (عليه السلام): (**يَنْطِقُ بَعْضُهُ بِبَعْضٍ، ويَشْهَدُ بعضه عَلَى بَعْضٍ**) [نهج البلاغة، الشريف الرضي، مركز البحوث الإسلامية، تحقيق: صبحي الصالح، ص192]، يعني أنّ من تدبّره رآه واحداً يشهد بعضه على بعض وينطق بعضه ببعض.

فوحدة الوحي مظهرٌ من مظاهر وحدانيّته تبارك وتعالى.

3–ومن مظاهر وحدانيّته وحدة الدين، قال تبارك وتعالى: **{شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ ما وَصَّى بِهِ نُوحاً وَالَّذِي أَوْحَيْنا إِلَيْكَ وَما وَصَّيْنا بِهِ إِبْراهِيمَ وَمُوسى وَعِيسى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَ لا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ}** [سورة الشورى، 13]، فالدّين واحد جمعَ كلّ هذه الشرائع التي صدرت من هؤلاء الرّسل (صلوات الله عليهم أجمعين).

4–ومِن مظاهر وحدانيّته وحدة طريق الإيمان، أي أنّ طريق الإيمان طريقٌ واحد، لا تبعّض فيه؛ لأنّه بسيط، ولا تعدّد فيه؛ لأنّه واحد، ولا تقلّب فيه؛ لأنّه ثابت، ولذا قال تبارك وتعالى: **{وَأَنَّ هذا صِراطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ}** [سورة الأنعام، 153] فهذا يعني أنّ مِن مظاهر وحدانيّته وحدة الصراط ووحدة طريق الإيمان، ومعنى أنّه واحد أنّه مظهر وحدانية الله تبارك وتعالى، فلا تبعض فيه، ولا تعدد فيه، ولا تقلّب فيه، فهذا هو وجه الرّبط بين الهداية والاستقامة في قوله تعالى: **{وَاجْتَبَيْناهُمْ وَهَدَيْناهُمْ إِلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ}** [الأنعام، 87].

وقال تبارك وتعالى **{واستقم كما أُمرت}** [سورة الشورى، 15] أي أنّك إذا سلكت هذا الطريق طريق الإيمان ستكتشف الإسقامة المطلقة.

الحقيقة الثانية: حقيقة التّقوى:

قد سبق أنّ التقوى من الصّفات التحرزيّة، وهي عبارة عن الحذر والحفظ، كما قال تبارك وتعالى: **{والذينَ هُمْ لفُروجِهِم حَافظونَ إلا عَلَى أزواجِهِم أو مَا مَلَكَت أَيْمانُهُم}** [سورة المؤمنون، 5 – 6]، وقال تبارك وتعالى: **{حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى}** [سورة البقرة، 238].

ومن أجل تحقّق الحفظ عبر التقوى فهناك ثلاثة روافد وطرق:

الطريق الأوّل: الخوف من الله عزّ وجلّ، قال تبارك وتعالى: **{قُلْ إِنِّي أَخافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ}** [سورة الأنعام، 15]، وقال تبارك وتعالى: **{وَأَمَّا مَنْ خافَ مَقامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوى * فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوى}** [سورة النازعات، 40 – 41].

الطريق الثاني: طريق الرجاء، قال تبارك وتعالى: **{أُولئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخافُونَ عَذابَهُ إِنَّ عَذابَ رَبِّكَ كانَ مَحْذُوراً}** [سورة الإسراء: 57]، وقال تبارك وتعالى: **{وَادْعُوهُ خَوْفاً وَطَمَعاً إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ}** [سورة الأعراف، 56].

الطريق الثالث: طريق الحبّ، قال تبارك وتعالى: **{قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَّ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ}** [سورة آل عمران، 31]، وقال تبارك وتعالى: **{والذينَ آمنُوا أشدُّ حبّاً للهِ}** [سورة البقرة، 165]، وللحبّ درجات، وأعلى هذه الدرجات أنْ يصل الحب بالإنسان إلى مرتبة تنشأ من منشأ عقلي ضروري وهو إدراكه التصديقي أنّ الله تبارك وتعالى أهلٌ للعبادة، كما ورد عن الإمام أمير المؤمنين عليٍّ (عليه السلام): **(مَا عَبَدْتُكَ خَوْفاً مِنْ نَارِكَ، وَلاَ طَمَعاً فِي جَنَّتِكَ، وَلَكِنْ وَجَدْتُكَ أَهْلاً لِلْعِبَادَةِ فَعَبَدْتُكَ)** [بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمّة الأطهار (عليهم السلام)، العلامة المجلسي، ج67، ص234]، يعني وصلت إلى درجة كمال العبوديّة، وحيث وصلت إلى درجة كمال العبودية وجدتُك أهلاً للعبادة فعبدتك، وقد قال الله تبارك وتعالى: **{وَما لِيَ لا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ}** [سورة ياسين، 22] وكان ذلك سبب تعلقي بعبادتك وقربك.

وبما أنّ للتقوى ثلاثة طرق، فكلّ طريق منها يحتاج إلى رافدٍ من الهداية، فالتقوى بطرقها الثلاثة: "طريق الخوف، طريق الرجاء، طريق الحب"، تحتاج إلى رشحةٍ من الهداية، وتوفيق ومدد من الله تبارك وتعالى.

ومن هنا تتبيّن العلاقة الوثيقة بين التّقوى وبين الهداية كما قال تبارك وتعالى: **{ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ}** [سورة البقرة، 2].

والحمد لله رب العالمين